من سلسلة "قصص مفيدة"

المظاهر الخادعة

من سلسلة "قصص مفيدة"

المظاهر الخادعة

منشورات
المجلس المذهبي لطائفة الموحّدين الدروز
اللجنة الدينيّة

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤ م

إعداد: باسم جابر
(الفكرة مقتبسة عن كتاب بلوهر و بوذاسف)

رسم: شادي خدّاج
إخراج: وسام تلحوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد للّه ربِّ العالمين. والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين وخاتم النبيّين وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدِّين.

إن بناء مجتمع توحيدي إسلامي على أسس قويمة وصحيحة يحتم علينا العمل على توعية الاجيال الصاعدة وصقل أذهانهم وأفكارهم بما يتناسب مع ثقافتنا وتقاليدنا وأعرافنا، ومن هنا كان توجه اللجنة الدينية في المجلس المذهبي لطائفة الموحدين الدروز وبمباركة مشيخة العقل الى وضع خطة جدية للعمل على تحقيق هذه الغاية، وكانت الانطلاقة في تأليف مجموعة قصص قصيرة، هادفة ومفيدة، تساعد الاجيال على تلقي الأفكار بطريقة سهلة واضحة وتلبي إحتياجات الاهل في توجيه وتربية أبنائهم وتسهم في نشر التعاليم الدينية الراقية وإحياء الأخلاق والعادات المعروفية بأسلوب منفتح .

اللجنة الدينيّة

المظاهر الخادعة

يحكى أنّه في قديم الزمان، كان يعيش ملكٌ عادلٌ محبٌّ للحق وأهله. اشتهر بتواضعه وتقرّبه من البسطاء والفقراء من أهل مملكته، وقد كان يقوم بين الحين والآخر بجولات تفقديّة بينهم، رغم

أنّ بعض وزرائه وكبار معاونيه كانوا يجدون في تصرفات ملكهم إنقاصاً من الهيبة الملكية، وخرقاً للعادات والتقاليد التي يتبعها الملوك والسلاطين في معاملة رعاياهم.

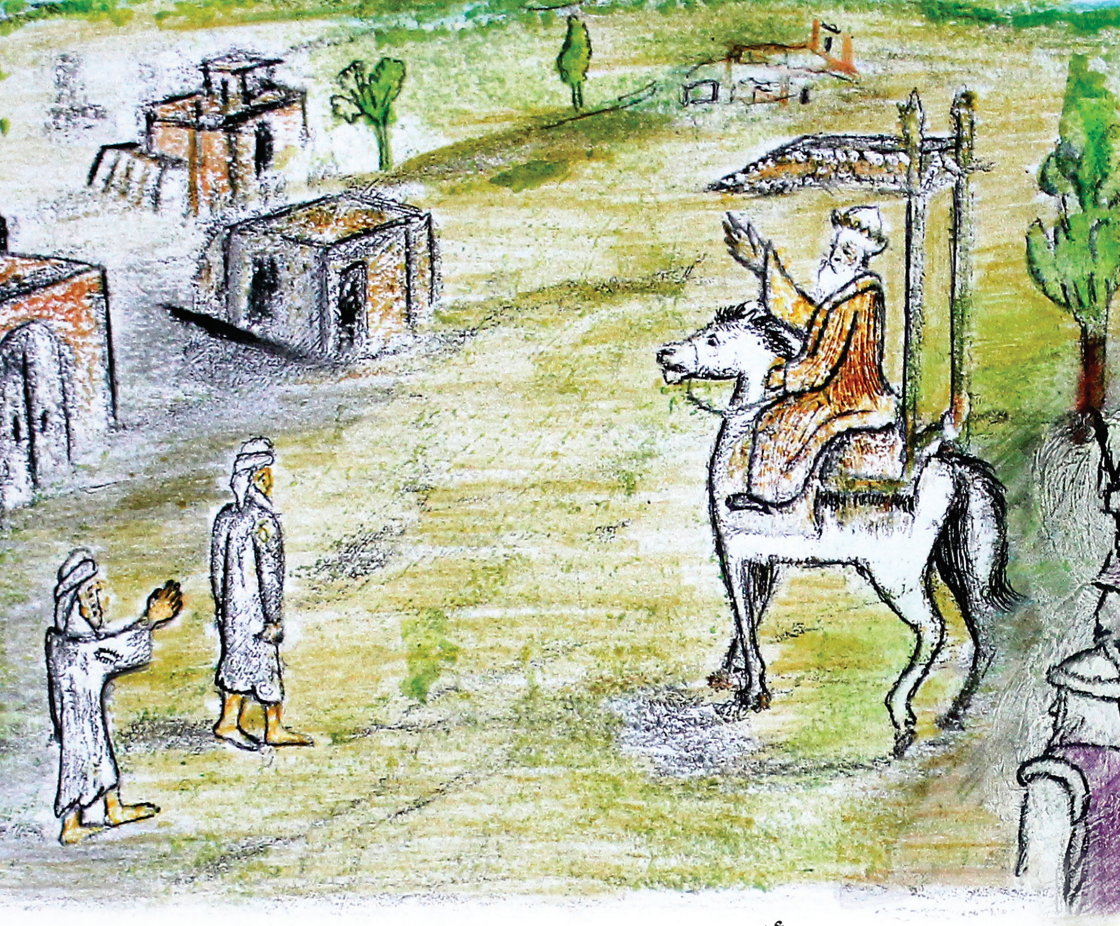

ومـرّة حـدث أنّ الملك - وفي موكب حاشد ضمّه إلى الكثير من أفراد حاشيته وكبار أهل بلاطه - كان ماراً في أحد شوارع عاصمته، عندما وقعت عيناه الناطقتان بالطيبة والحنان على رجلين يمشيان حافيين، لباسهما أطمارٌ، وعليهما أثر البؤس والفقر، فما كان الملك العظيم وسط ذهول صحبه ومرافقيه من كبار رجالات الدولة واستهجانهم المكبوت، إلا أن هوى إلى الأرض عن هودجه المذهّب الموشّى قاصداً الرجلين البائسين يحيّهما سائلاً كلّ منهما عن حاجته وأمره.

وتعالى همس أهل الموكب بالإستغراب والإزدراء للرجلين، ما وصل بعضه إلى أذن الملك المنهمك بتبجيل الفقيرين، وأدرك أنّ كبار وزرائه الذين يأتمنهم ويكلّفهم تصريف شؤون الناس هم من أولئك الذين يصدرون صيحات الإعتراض والإستهجان المكبوتة، فأضمر في نفسه شيئاً وهو يعود أدراجه إلى هودجه صامتاً واجماً يضاهي في ذلك صمت القوم الذي ساد مع حضوره، ويقابل الإبتسامات الزائفة والإنحناءات المصطنعة التي يغدقها عليه المتزلّفون!

2- "تفضلوا أيها السادة الوزراء .. تفضلوا .."

هكذا خاطب الملك الطّيب وزراءه الثلاثة بعد انقضاء نحو

أسبوع من تاريخ حادثة الرجلين الفقيرين، وهو يدعوهم إلى المجلس الخاص الذي يجتمع إليهم فيه عادةً للتباحث بشؤون البلاد والناس.

- "تلك هي المسألة التي استدعيتكم من أجلها اليوم .. مطروحةً - بكل معنى الكلمة - أمامكم .."

قال الملك ذلك وهو يشير إلى توابيت خشبيّةٍ أربعةٍ قد وضع كل اثنين منها في جانب من جانبي القاعة الملكية: تابوتان اثنان يكاد الضوء الذي يقع عليهما يخطف البصر لشدّة لمعانهما، وقد ازدان غطاء كلٍّ منهما بشتّى أنواع الجواهر واليواقيت علاوة على الطلاء الذهبيّ الكثيف الذي اكتسيا به. وفي الناحية المقابلة قبع التابوتان الباقيان على حالٍ كما لو أنّ عمّال القصر قد أهملا التنظيف والتلميع لمدّة شهر أو سنة، فهما قميئا المنظر، تعلوهما التربة، وقد غطيا بطبقة كثيفة من القار الوسخ لم تفلح في إخفاء ما خالط خشبهما من سوس وبلاء.

3- دارت العيون السّت واتّسعت وهي تجول بين الناحيتين، ثمّ عادت لتلتقي فيما بينهما مذهولةً مدهوشةً تحمل في ما تحمل معاني التساؤل (ماذا يريد منّا اليوم مع هذه التوابيت الأربعة ملكنا الغريب الأطوار؟!) ثمّ ترفعها إلى الملك المبتسم الواثق الذي سارع إلى إيضاح غموض المسألة:

"أحتاجكم يا وزرائي الحكماء في خدمة بسيطة تسدونها

إلي، وهي وإن بدت لكم غريبة أو ساذجة، فإنها عندي جليلة ذات قيمة كبرى . ."

أودّ منكم وأنتم أصحاب خبرةٍ وباعٍ طويل "ووجّه الملك بصره إلى وزيرين منهما هما كبيرً الوزراء ووزير المال.

ثمّ أردف "وذوو رأي سديد" ووجّه بصره هذه المرّة إلى الثالث وهو كبير المستشارين، وكان هؤلاء الثلاثة هم في الحقيقة أكثر الذين علا احتجاجهم واعتراضهم في ذلك اليوم، يوم الموكب الشهير . .

"أن تقوّموا لي أثمان هذه التوابيت الأربعة!"

4- وجم القوم لحظة كأنهم بغتوا ببساطة الطلب وغرابة

المناسبة، لكنّهم عادوا فانطلقت أساريرهم واتّسعت أفواههم بالإبتسامات الواثقة المغرورة، وتبادلوا نظرات خاطفة أقرب إلى الخبث والإستخفاف بملكهم وبراءته الزائدة.

وكاد ثالثهم أن يبادر الكلام مسابقاً وزير المال عندما تنحنح كبير الوزراء مذكّراً صاحبيه بمرتبته العليا، وبحقّه الرسمي في افتتاح الكلام وفق التقاليد والأعراف المعمول بها في المملكة، ثمّ قال بصوتٍ جهوريّ ولهجةٍ مصطنعة مثقلة بالرياء والغرور:

- «يا ملك الزمان .. يا عظيم الشان إننا خدمكم المخلصون وعبيدكم الدائمون ...»

- "اختصر يا كبير الوزراء، اختصر تلك المقدّمات وأسد إلينا رأيكم في المسألة التي طرحناها عليكم .."

قاطعه الملك مظهراً حنقه الهادىء وهو يشير إلى كلا الجهتين حيث وضعت التوابيت .

انحنى كبير الوزراء المعهود، ومن خلفه انحنى الوزيران الآخران، ثمّ تقدّم إلى وسط القاعة بحيث صار أقرب إلى التابوتين المطلّيين بالذهب، فأشار إليهما وعيناه تبرقان بريق الطمع والإنبهار:

- "هذان الصندوقان يا

سيدي ، فالحق يقال أنّ لا ثمن لهما .. وأعني بذلك أنّه لا يمكن أن يحدّد ثمنهما لعظيم قيمتهما ونفاسة قدرهما" وهزّ الوزيران الواقفان خلفه رأسيهما بشدّةٍ علامة الموافقة عندما نظر إليهما الملك مستوضحاً رأيهما.

ثمّ مال كبير الوزراء إلى جهة تابوتي القار، وقد ازورّ بوجهه عنهما احتقاراً قبل أن يعود مستظرفاً:

- "وهذان يا سيدي لا ثمن لهما أيضاً ... والمعنى ها هنا بادٍ جليّ لا يحتاج إلى توضيح أو تفسير، فهما، فهما إلى مزبلة المدينة أحوج!"

5- وبينما كان وزير المال وكبير المستشارين يؤيدان قول كبيرهما، كان الملك يشير إلى أحد حرّاسه وعبيده الواقفين عند باب القاعة بالمسارعة إلى رفع الأغطية عن التوابيت الأربعة ابتداءً باللذين "لا يمكن أن يحدد ثمنهما لعظيم قيمتهما ونفاسة قدرهما" بحسب رأي الوزراء .. فما كاد الغطاءان ينزعان عنهما، حتّى كاد كبير الوزراء وهو لا يزال الأقرب إليهما – وربما كان قد اقترب أكثر لا إرادياً يدفعه طمع خفيّ فيه – أن يغشى عليه لشدّة الريح النتن الذي هبّ عليه من فتحتي التابوتين، ولما وقع عليه بصره من مظهر القذارة والروث والدماء التي ملأت التابوتين، فأخذ يلوّح للحرس أن يعيدا الغطائين بسرعة، فيما سدّ الباقون أنوفهم بأيديهم وغطّى الملك فمه بمنديله الحريريّ يُخفي ابتسامة رسمها على شفتيه مشهد أولئك "الحكماء"!

ولكن الأمر انقلب وتبدّل مع نزع الغطاء عن أوّل تابوتي القار، ثمّ تضاعف وزال كل أثر للتابوتين السابقين مع رفع الغطاء الأخير.. إذ فاحت روائح المسك والعنبر في أرجاء القصر الملكيّ وتبدّى للناظرين ما تبدّى من محتويات التابوتين الحقيري المظهر من سنى الجواهر ولمعان الكنوز المختزنة داخلهما..

6- وقف الوزراء الثلاثة أمام ملكهم مذهولين خائبين وهم يستمعون إليه يصدر حكمه في أحكامهم الخاطئة : "هذان التابوتان" قال الملك هذا وأشار إلى تابوتي القار الممتلئين

طيباً وكنزاً "هما مثل الرجلين الفقيرين اللذين أنكرتم عليّ تبجيلهما ومعانقتهما في السوق منذ أسبوع، فقد كانا حقيري اللباس والمظهر فيما امتلئا من العلم والحكمة والبرّ والتقوى، ما هو أنفس ممّا ترونه من الدرّ والياقوت والجوهر ... فيما هذان التابوتان .."

وأشار إلى التابوتين المطليين بالذهب، فسارع كبير الوزراء يصيح مقاطعاً ملكه وخارقاً للمرّة الأولى ربّما تقاليد القصر وأعرافه:

- "بتنا نعلم الآن يا ملكنا ما مثلهما" قال هذا وهو يشدّ عباءته المذهّبة الموشّاة بخيوط الحرير حتّى يكاد يمزّقها .
وتدخّل كبير المستشارين قائلاً بخجل وورع حقيقيّين:
- "هذا مثلنا يا ملك الزمان ، فعسانا نكون قد تعلّمنا الدرس وبتنا لا نحكم على ظواهر الأمور"
وقاطعه وزير المال قائلاً بلهجة مماثلة:
- " .. وتعلّمنا أن نحسن التقويم في كلّ مناحي حياتنا ، فلا نُخدع بمظهر ولا نظلم مخلوقاً بناءً عليه .."

من سلسلة "قصص مفيدة"

١ – إنّ للعالم خالقاً

٢ – المظاهر الخادعة

منشورات
المجلس المذهبي لطائفة الموحّدين الدروز
اللجنة الدينيّة

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©